

## الاعتبارات التي تقوم عليها رعاية المسنين في الإسلام



د/سائلة عبد الله حمد حامد الشاعر<sup>(١)</sup>

### المقدمة :

لقد اهتم التشريع الإسلامي بأمر كبار السن، وجعل لهم مكانة مرموقة في المجتمع، وضمن لهم من خلال التشريعات، والحث على احترامهم وتقديرهم بما يكفل لهم حياة محترمة آمنة، لأن مرحلة الشيخوخة تعد مرحلة تكريم وتبجيل، لذا حض الشارع على ألا يتناول أحد على الشيوخ أو كبار السن أو يمسه بما يخدش حسهم وشعورهم، بل على المسلم أن يجلهم بما يستوجبونه من كريم الإنزال وفاضل الخلق. فلقد نفى النبي ﷺ تمام الإيمان عن يؤذي الكبار، فلم يعتبروا فيهم شرف السن وجلاله وتكريمه، فقد أخرج أبو داود في سننه عن ابن السرح عن النبي ﷺ إنه قال: «ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويعرف شرف كبيرنا»<sup>(١)</sup>. وروى أبو داود والترمذي أنه جاء شيخ كبير يريد النبي ﷺ فأبطأ القوم عنه أن يوسعوا له، فقال النبي ﷺ: «ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر

(\*) عضو هيئة تدريس بقسم اجتماع - كلية الآداب - جامعة عمر المختار - ليبيا.

دكتوراه من قسم اجتماع - كلية الآداب - جامعة عين شمس - القاهرة

(١) ابن العربي المالكي: عارضة الأحوذى لشرح صحيح الترمذي، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، (الجزء الثامن)، ص ١٠٧.

كبيرنا»<sup>(١)</sup>، وعن أبى موسى عليه السلام أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن من إجلال الله إكرام ذي الشببة المسلم»<sup>(٢)</sup>. وروى الترمذى عن أنس عن النبى ﷺ أنه قال: «ما أكرم شاب شيخاً لسنه إلا قبض الله له من يكرمه عند سنه»<sup>(٣)</sup>. وغيرها كثير.

إن المجتمع الإنسانى يخسر كثيراً عندما يتجاهل حكمة ومعرفة كبار السن، ويعد ذلك إهداراً غير عقلانى لخبرة وتجارب كلفت المجتمع الكثير وينبغي الاستفادة منها والاحتفاظ بها وليس العكس. ومن حكمة ومعرفة كبار السن بالأمور الروحية والاجتماعية الكثير الذى على الشباب أن يتعلموه وينقلوه إلى الأجيال التى تليهم، فكبار السن وخاصة الإناث منهم هم حلقة تواصل واستمرار المجتمع فى المحافظة على قيمه وأعرافه وتقاليده، فهم من يقوم على تنشئة الأجيال الشابة، والتأكد من استيعابهم لرموز وتقاليد مجتمعهم التى بدونها قد يفقد المجتمع هويته وخصوصيته، والأمر أصبح فى غاية الأهمية فى عصر العولمة التى أخذت تذوي وتخفي الكثير من خصائص المجتمعات وثقافاتى. وهذا ما لفت إليه الدين الإسلامى النظر منذ ١٤٠٠ سنة.

النمو كما صوره القرآن الكريم :

يمر نمو الإنسان بسبع مراحل هى:

(١) الإمام البخارى: الأدب المفرد، عالم الكتب، بيروت - لبنان، ١٩٨٤، ص ١٣٠.

(٢) المرجع السابق نفسه، ص ١٣٠.

(٣) ابن العربى المالكي: عارضة الأحوذى لشرح صحيح الترمذى، الجزء الثامن، مرجع سبق ذكره، ص ١٧٩.

(١) مرحلة التراب والطين: قال تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾<sup>(١)</sup>.

(٢) مرحلة النطفة: وجاءت هذه المرحلة بعد اكتمال خلق الزوجين الأولين لآدم وحواء عليهما السلام. قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَّاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾<sup>(٢)</sup>.

(٣) مرحلة العلقة: وهي تحول النطفة بعد أن التقى مني الذكر ببويضة الأنثى وتم الإخصاب إلى قطعة دم عالقة بالرحم لا تغادره إلى حين، وهو القرار المكين الذي ورد ذكره في الآيات السابقة.

(٤) مرحلة المضغة: وهي قطعة لحم بقدر ما يمصغ، لا شكل فيها، ولا تخطيط، ثم تبقى على ذلك قرابة أربعين يوماً استعداداً لبدء مرحلة جديدة.

(٥) مرحلة العظام: أي تحويل قطعة اللحم (المضغة) إلى شكل جديد ذي رأس وبيدين ورجلين بعظامه وعصبه وعروقه، وهذا العظم هو عظم الصلب، وقد جاء في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كل جسد ابن آدم يبلى إلا عجب الذنب، منه خلق ومنه يركب».

(٦) مرحلة اللحم الذي يكسو العظام: وفي هذه المرحلة يخلق البارئ جل وعلا لحماً ليكسو به العظام ويسترها ويقويها بذلك، وبذا يكتمل الهيكل الإنساني استعداداً لمراحل أخرى تنتظره.

(١) سورة آل عمران: آية ٥٩.

(٢) سورة النور: آية ٤٥.

(٧) مرحلة الخلق الآخر: وبعد أن نما الإنسان ومر بالأطوار السابقة يصل بقدرة القادر سبحانه وتعالى إلى مرحلة الخلق الآخر، وبذا ينتقل الإنسان من مرحلة الجسد إلى مرحلة الحياة، ومن ظلمات العدم إلى ضياء الوجود<sup>(١)</sup>.

### الأحكام الفقهية والعبادات المتعلقة برعاية المسنين :

لقد جاءت العبادات لتوضح للمجتمع المسلم أسلوب الرعاية والعناية بالمسنين. قال الله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا إِلَهُكُمْ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

نقصد بالأحكام، النظرة العامة للأحكام الفقهية التي راعت المسنين وعجزهم، ومن هذه الأحكام الخاصة بالصلاة والوضوء والجمع.

### أ) رعاية المسنين في الصلاة :

تلتزم الصلاة العبد قائماً فإن لم يستطع فقاعداً، فإن لم يستطع فعلى جنبه الأيمن أو الأيسر، إن لم يستطع فمستلقياً ورجلاه إلى الأمام. وهذه الأحكام في حق المريض، ومن في حكمه، ويدخل في ذلك المسن العاجز لأنه في حكم المريض.

ومن سماحة الإسلام أن شرع للإمام أن يراعى حال المسنين وعجزهم إذا صلى بهم، وأمره أن يخفف الصلاة عنهم. أخرج الإمام

(١) محمد حسن غانم: مشكلات كبار السن، التشخيص والعلاج: رؤية نفسية دينية، المكتبة المصرية، جامعة حلوان، القاهرة -- مصر، ٢٠٠٤م، ص ٢٢-٢٣.

(٢) سورة البقرة: آية ١٨٥.

البخاري رحمه الله في صحيحه من رواية عبد الله بن يوسف ولفظه «إذا صلى أحدكم بالناس فليخفف فإن منهم الضعيف والسقيم والكبير وإذا صلى لنفسه فليطول ما شاء»<sup>(١)</sup>.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إذا أم أحدكم الناس فليخفف فإن منهم الصغير والكبير والضعيف والمريض، وإذا صلى وحده فليطول كيف يشاء»<sup>(٢)</sup>.

وعن عمران بن حصين قال: «كانت بي بواسير، فسألت النبي ﷺ عن الصلاة؟ فقال: «صل قائماً، فإن لم تستطع فقاعداً، فإن لم تستطع فعلى جنب»<sup>(٣)</sup>.

### ب) رعاية المسنين في الصوم :

صوم رمضان واجب على كل مسلم عاقل بالغ الصحيح المقيم، ولسماحة الإسلام وتيسيره رخص للشيخ الكبير، والمرأة العجوز والمريض الذي لا يرجى برؤه الفطر في رمضان، إذا كان الصيام يجهدهم ويشق عليهم مشقة شديدة<sup>(٤)</sup>.

وعليهم أن يطعموا عن كل يوم مسكيناً. قال ابن عباس: «رخص للشيخ الكبير أن يفطر، ويطعم عن كل يوم مسكيناً ولا قضاء عليه». عن عطاء أنه سمع ابن عباس رضي الله عنهما يقرأ: «وعلى الذين يطيقونه فدية

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه البخاري.

(٤) السيد سابق: فقه السنة، (المجلد الأول)، العبادات، دار الفكر، بيروت - لبنان،

١٤٠٣ هـ، ص ٨٠.

(ج) رعاية المسنين في الحج :

١- الإسلام. ٢- البلوغ. ٣- العقل. ٤- الحرية. ٥- الاستطاعة<sup>(٢)</sup>.

وتتحقق الاستطاعة بما يلي:

أن يكون المكلف صحيح البدن، فإن عجز عن الحج لشيخوخة، أو مرض لا يرجى شفاؤه لزمه إحجاج غيره عنه إن كان له مال. عن ابن عباس رضي الله عنه أن امرأة من خثعم قالت: يا رسول الله إن فريضة الله على عباده في الحج أدركت أبي شيخاً لا يستطيع أن يثبت على الراحلة أفأحج عنه؟ قال نعم». وفي رواية فحجي عنه<sup>(٣)</sup>.

الشيخوخة في القرآن الكريم والسنة النبوية :

لقد اهتم القرآن الكريم بمرحلة المسنين، حيث ورد العديد من الآيات التي تبين طبيعة حياة هذه المرحلة، وسماتها الشخصية، وكيفية التعامل معها، ومن هذه الآيات القرآنية التي ذكر في نطاقها مرحلة آخر العمر قوله تعالى:

﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَوَفِّقُكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُدْرِكُ إِلَىٰ أَزْدَلِ الْعُمَرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ۝﴾ (٤).

يقول ابن كثير في تفسير هذه الآية:

(١) رواه البخاري.

(١) السيد سابق: فقه السنة، مرجع سبق ذكره، ص ٨١.

(۳) رواه مسلم.

(٤) سورة النحل: آية ٧٠.

يخبر الله عن تصرفه في عباده وأنه هو الذي أنشأهم من العدم ثم يتوفاهم ومنهم من يتركه حتى يدركه الهرم وهو الضعف في خلقه.

وقال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ۝﴾<sup>(١)</sup>.

وقال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا نَهْرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ۝﴾<sup>(٢)</sup>.

وقال ابن كثير في تفسير الآية أن معنى (القضاء) الأمر، وقال مجاهد (قضى) أي وصى فلا يسمعهما قولاً سيئاً حتى التأفف الذي هو أدنى مراتب القول السيء بل أمرهم بالفعل الحسن فيكون التعامل معهم متضمناً للتوقير والاحترام والتعظيم.

كما أن هذه الآية تستجيش وجدان الرحمة والعطف والبر في نفوس الأبناء في تعبير وجداني رقيق ودود ﴿إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا﴾ فهما إذا عندك أي في رعايتك وحفظك وحمایتك، وقد يكونان شيخين هرمين ضعيفين، فالحذر أن تتفوه بكلمة فيها تذر أو تملل ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا نَهْرُهُمَا﴾ بل يجب عليك أن تفكر طويلاً في الكلمة الطيبة التي سوف توجهها إليهما، ﴿وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ فينبغي على الولد أن يقف بين يدي والديه وقفة احترام وتقدير، شبيهة بوقفة التذلل والاستسلام

(١) سورة الروم: آية ٥٤.

(٢) سورة الإسراء: آية ٢٣.

والخضوع ﴿وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾<sup>(١)</sup>. ولينطلق لسانك  
لاهجاً بالدعاء لهما على ما أسديا لك من يد لا تتسى، إذ ربك صغيراً قاصراً  
﴿وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾<sup>(٢)</sup>.

وقال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَلَدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفَصَّلَهُ  
فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَلَدِكَ إِلَى الْآخِرِ﴾<sup>(٣)</sup>. يتبين لنا من هذه الآية أن الله  
سبحانه وتعالى قد ألزم وأمر الإنسان على بر والديه وطاعتهما  
والإحسان لهما جزاء ما قاما به في الصغر من خدمة وتربية وخاصة  
الأم فقد تحملت مشقة حمله في بطنها تسعة أشهر عانت فيها الضعف  
بسبب الحمل والضعف بسبب الطلق والضعف بسبب الولادة ثم حث  
وأوجب الله على العباد أن يشكروا الوالدين الأب والأم<sup>(٤)</sup>. وقال تعالى: ﴿وَبَرًّا  
بِوَلَدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا﴾<sup>(٥)</sup>. وقال تعالى: ﴿وَبَرًّا  
بِوَلَدَيْهِ وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾<sup>(٦)</sup>.

أثنى الله سبحانه وتعالى في الآيتين السابقتين على نبيين من الأنبياء  
هما زكريا وعيسى عليهما السلام، وذلك لأنهما كانا بارين بوالديهما عند كبر  
سنهما والبر عند كبر سنهما وفي وقت الحاجة أعظم منه في غيره. والحاجة

(١) سورة الإسراء: آية ٢٤.

(٢) محمد على الهاشمي: شخصية المسلم كما يصوغها الإسلام في الكتاب والسنة، دار  
البشائر الإسلامية، بيروت - لبنان، ١٤١٠ هـ، ص ٥٨.

(٣) سورة لقمان: آية ١٤.

(٤) محمد حسن الحمصي: القرآن الكريم تفسير وبيان مع أسباب النزول للسيوطي، دار  
الرشيد، بيروت، لبنان، ١٤٠٥ هـ.

(٥) سورة مريم: آية ١٤.

(٦) سورة مريم: آية ٣٢.



لا نتحقق إلا في سن الشيخوخة والضعف<sup>(١)</sup>. قال تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَنُلْ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَيَالْوَالِدَيْنِ إِحْسَنًا﴾<sup>(٢)</sup>. إن هذا الأسلوب الرفيع في الآية السابقة من البلاغة القرآنية قد حرم الشرك وأمر بالإحسان، ومقتضى ذلك أن يأمر بالتوحيد ويحرم العقوق، فكان الشرك ملازماً للعقوق، والتوحيد قرين الإحسان<sup>(٣)</sup>. قال تعالى: ﴿وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِنَّ لِي لِمَرْجِعِكُمْ فَأُنِثُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾<sup>(٤)</sup>.

ومعنى هذه الآية أنه إذا كان أحد الوالدين يملك ويرغمك على الإشراف بالله فلا طاعة لهما، لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، ولكن على الإنسان المسلم مصاحبتهم بالمعروف بالرغم من أنهما مشركين. فلما أنكرت أم سعد بن أبي وقاص عليه إسلامه، فتكسب معرفة العرب، إذ سيقولون: قاتل أمه، أجابها سعد: تعلمين والله لو كان لك مئة نفس، وخرجت نفساً نفساً ما رجعت عن إسلامي، وصبرت أمه يوماً فيومين، وفي اليوم الثالث أجهدا الجوع فطعمت، وأنزل الله بعد تلك القصة تلك الآية معاتبة لسعد على شدته وقسوته مع أمه<sup>(٥)</sup>.

(١) عبد الرؤوف الحناوي: بر الوالدين، دار طيبة، الرياض - السعودية، ١٣٩٦ هـ، ص ٢٢.

(٢) سورة الأنعام: آية ١٥١.

(٣) عبد الرؤوف الحناوي: بر الوالدين. مرجع سبق ذكره، ص ٢٦.

(٤) سورة لقمان: آية ١٥.

(٥) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، دار الجليل، بيروت - لبنان، الجزء الثالث، ١٤٠٨ هـ.

فعن أبي عبد الرحمن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سألت النبي صلى الله عليه وسلم:  
أي العمل أحب إلى الله تعالى؟ قال: «الصلاة على وقتها»، قلت: ثم أي؟ قال:  
«بر الوالدين»، قلت: ثم أي؟ قال: «الجهاد في سبيل الله»<sup>(١)</sup>.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا  
رسول الله من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: «أمك»، قال: ثم من؟ قال:  
«أمك»، قال ثم من؟ قال: «أمك»، قال: ثم من؟ قال: «أبوك»<sup>(٢)</sup>.

لقد دفع الإسلام إلى المحافظة على مودة أصدقاء الآباء، وحث عليها،  
ليستمر الترابط الأخوي بين الناس، وتزيد الصلة والألفة، فتبقى القلوب  
متألفة، ويسودها الطمأنينة والسلام، وحذر من مغبة التقاطع، وتوعد من يقطع  
صلة أهل ود أبيه بإطفاء نوره، لأنه حاول إطفاء نور التحابب والتآلف<sup>(٣)</sup>.

وعن أبي بكر نفيع بن الحارث رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ألا  
أنبئكم بأكبر الكبائر؟» ثلاثاً - قلنا: بلى يا رسول الله. قال: «الإشراك بالله  
وعقوق الوالدين» وكان متكئاً فجلس فقال: «ألا وقول الزور» فما زال  
يكررها حتى قلنا: ليته سكت<sup>(٤)</sup>.

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم  
قال: «الكبائر: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وقتل النفس، واليمين  
الغموس»<sup>(٥)</sup>.

(١) متفق عليه.

(٢) متفق عليه.

(٣) عبد الرؤوف الحناوي: بر الوالدين، مرجع سبق ذكره، ص ٥٢.

(٤) متفق عليه.

(٥) رواه البخاري.

إن المؤمن العاقل يخشى إن أتى بصغيرة ألا يغفر له فكيف إذا أتى بالكبيرة؟ وهل يملك الإنسان وثيقة من الله أن يغفر له ويدخله الجنة إن ارتكب كبيرة تعتبر من أكبر الكبائر وهي عقوق الوالدين فهي والله من أعظم الذنوب والخطايا فيطير بها صواب المسلم الصادق وينهلح لسانه من عظم ذلك الفعل<sup>(١)</sup>.

تقسيم مرحلة الشيخوخة في ضوء القرآن الكريم :

يقسم القرآن هذه المرحلة الكبرى إلى مرحلتين فرعيتين:

(١) مرحلة الشيخوخة: يقول الله تعالى: ﴿ثُمَّ لَتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ ثُمَّ لَتَكُونُوا شُيُوخًا﴾<sup>(٢)</sup>.

(٢) مرحلة أرذل العمر (الهزم): يقول الله تعالى: ﴿وَمِنْكُمْ مَّنْ يُؤَوِّقُ وَمِنْكُمْ مَّنْ يُرَدُّ إِلَيَّ أَرَذَلِ الْأَعْمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا﴾<sup>(٣)</sup>.

ويذكر القرآن الكريم شواهد كثيرة على خصائص مرحلة الضعف والشيبة ومن ذلك قوله تعالى في تحديد المعالم الجسمية الرئيسية للمراحل وهي: وهن العظام وشيبة الرأس: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاسْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾<sup>(٤)</sup>. وكذلك خاصية انقطاع خصوبة المرأة والرجل بقوله تعالى: ﴿قَالَتْ يَوَئَلَيْهِ أَإِلَهُدَّ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ

(١) عبد الرؤوف الحناوي: بر الوالدين، مرجع سبق ذكره، ص ١٣١.

(٢) سورة غافر: آية ٦٧.

(٣) سورة الحج: آية ٥.

(٤) سورة مريم: آية ٤.

عَجِيبٌ<sup>(١)</sup>. قوله تعالى: ﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ الَّتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ<sup>(٢)</sup>﴾.

وانتكاس الخصائص النفسية والجسمية المختلفة إلى مراحل سابقة وخاصة عند أولئك الذين يبلغون من العمر أرذله يقول الله تعالى: ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عَلِيمٌ شَيْئاً<sup>(٣)</sup>﴾.

وقد نبه القرآن الكريم إلى أن هذه المرحلة فيها اعتماد جديد، كما كان الحال في مرحلة الطفولة والصبا، إلا أن الاعتماد في مرحلة الضعف الأولى كان على الوالدين. أما الاعتماد في مرحلة الضعف الثانية فلا مفر من أن تكون على الأبناء إلى الوالدين. وكما تحدثت حقوق الأبناء على والديهم في المرحلة الأولى، يحدد القرآن الكريم حقوق الوالدين على أبنائهم في المرحلة الثانية حيث يقول تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَلْفُظَ مِنْكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا نَهَرُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا وَخَفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا<sup>(٤)</sup>﴾.

وأظهرت الأبحاث الطبية الحديثة أن الصوم يطيل مرحلة الشباب ويؤخر أعراض الشيخوخة.

(١) سورة هود: آية ٧٢.

(٢) سورة النور: آية ٦٠.

(٣) سورة الحج: آية ٥.

(٤) سورة الإسراء: آية ٢٣-٢٤.

وهناك محاولات لعلاج أمراض الشيخوخة والهرم الذي يصيب بعض الناس في كبرهم، إلا أن هذه المحاولات مكتوب لها الفشل مسبقاً بنص حديث رسول الله ﷺ الذي رواه أسامة بن شريك قال: أتيت النبي ﷺ وأصحابه كأنما على رؤوسهم الطير فسلمت ثم قعدت فجاء الأعراب من ها هنا وها هنا فقالوا: يا رسول الله أنتداوى؟ فقال: «تداووا فإن الله عز وجل لم يضع داء إلا وضع له دواء غير داء واحد: الهرم»<sup>(١)</sup>.

تعميق بعض القيم الإسلامية في المحيط الاجتماعي :

لهذا كله كان من الضروري تأكيد وتعميق القيم التالية في المحيط

الاجتماعي:

#### (١) صلة الرحم :

نجد أن الدين الإسلامي الحنيف يؤكد على دعوة صلة الرحم والتعاطف والتقارب بين أولي الأرحام وذوي القربى، فقد قال تعالى: وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدِ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ<sup>(٢)</sup>. قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَنْفُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

وقد جاءت الأحاديث الشريفة لتؤكد على حق الوالدين ورعايتهم وتوفير احتياجاتهم وإسعادهم، حيث قال ﷺ في هذا الصدد: عن أبي هريرة

(١) سناء محمد سليمان: مرحلة الشيخوخة وحياة المسنين بين الآمال والألام، عالم الكتب، القاهرة - مصر، ٢٠٠٨م، ص ١٠٦-١٠٧.

(٢) سورة الأنفال: آية ٧٥.

(٣) سورة البقرة: آية ٢٧.

ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت».

وقال ﷺ: «إن الصدقة وصلة الرحم يزيد الله بهما في العمل ويدفع بهما ميتة المكروه والمحذور». وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث من كن فيه حاسبه الله حساباً يسيراً وأدخله الجنة برحمته. قالوا: وما هي يا رسول الله؟ قال: تعطي من حرمك وتصل من قطعك وتغفوا عن ظلمك فإذا فعلت ذلك يدخلك الله الجنة»<sup>(١)</sup>.

## ٢) التعاون والتكافل :

فالإسلام حينما أكد على قيمة التعاون، إنما أكدها من أجل أن يتعاون الإنسان المسلم مع إخوانه وأبناء مجتمعه وأمته في مواجهة أعباء الحياة مادياً ومعنوياً، والتكافل كقيمة دينية واجتماعية، جاءت لتؤكد هذه الحقيقة.

فقيمتي التعاون والتكافل تدفعان الإنسان المسلم إلى رعاية ذوي الحاجات وعلى رأس هؤلاء كبار السن، الذي ينبغي أن يتعاون أبناء المجتمع الواحد لرعاية احتياجاتهم المادية والنفسية والصحية والاجتماعية.

## ٣) الاحترام المتبادل :

وذلك لأن سيادة هذه القيمة في علاقتنا الاجتماعية يزيد من درجة الترابط والتماسك في العلاقات الاجتماعية. إن احترام الآخرين والإحسان إليهم، هو الذي يقود إلى المحبة والوئام، ولا يمكننا أن نصل إلى التعاون والسعادة في المجتمع بإهانة الآخرين وحرمانهم من العطف والاحترام.

(١) خالد محمد خالد: خلفاء الرسول، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، ١٩٨٢.

لذلك، فإن المطلوب هو احترام المسنين وتقديرهم ومحبتهم والتفاهم والتعايش معهم، وذلك لأن هذا الاحترام بكل صورته وأشكاله هو رمز الفلاح والسعادة والتآلف في الأسرة والمجتمع<sup>(١)</sup>.

ولم يقتصر الدين الإسلامي على الاهتمام بالوالدين وصلة القرى، بل وأيضاً الاهتمام بالجار، قال تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَنًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾<sup>(٢)</sup>.

كما أن الأحاديث وردت عن الرسول ﷺ في حق الجار كثيرة. حيث ورد قول رسول الله ﷺ: «ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه». وعن النبي ﷺ قال: «من أغلق بابيه دون جاره مخافة على أهله وماله فليس ذلك بمؤمن، وليس يؤمن من لم يأمن جاره بوائقه، أتدرون ما حق الجار؟ إذا استعانك أعتته، وإذا استقرضك أقرضته، وإذا مرض عدته، وإذا أصابه خير هنأته، وإذا أصابته مصيبة عزيتته، وإذا مات اتبعت جنازته، ولا تستظل عليه بالبنيان فتحجب عنه الريح إلا بإذنه، ولا تؤذيه بريح قدرك إلا أن تغرف له منها، وإذا اشتريت فاكهة فأحق له، فإن لم تفعل فأدخلها سراً ولا يخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده». صدق رسول الله ﷺ.

بل حتمت العقيدة الإسلامية ضرورة الاهتمام ورعاية كبار السن حتى وإن كانوا من دين يخالف دين الإسلام. فقد حدث أن عمر بن الخطاب

(١) سناء محمد سليمان: مرحلة الشيخوخة، مرجع سبق ذكره، ص ١١٧-١١٨.  
(٢) سورة النساء: آية ٣٦.

ﷺ رأى شيخاً مسناً ضرير البصر، منحني الظهر يسأل الناس الإحسان  
(يتسول) فسأله عمر بن الخطاب:

من أنت؟

قال: يهودى.

فسأله عمر: ما ألجأك إلى ما أراه؟

قال العجوز: السن والحاجة والجربة.

فأخذ عمر بيده، وذهب إلى بيت المال، وقال لخازنه: انظر إلى هذا  
وأمثاله وضع عنهم الجزية واعطهم كفايتهم. فوالله ما أنصفنا هذا وأمثاله،  
نأكل مشيبته ثم نخذله عند الهرم. وتأكيداً بهذا التوجيه الإسلامى الذى قام به  
عمر بن الخطاب ﷺ نجد خالد بن الوليد ﷺ يكتب لأهل الحيرة: جعلنا لهم  
أيما شيخ ضعف عن العمل أو أصابته آفة من الآفات أو كان غنياً فافقر  
وصار أهل دينه يتصدقون عليه طرحت جزيته وعيل من بيت مال المسلمين  
وعين له ما أقام بدار الهجرة<sup>(١)</sup>.

الاعتبارات التى تقوم عليها رعاية المسنين فى الإسلام :

هناك مجموعة من الاعتبارات يُكرم ويُحترم ويُراعى على أساسها  
الشيخ المسن وهى على النحو التالى:

(١) منصور الرفاعى عبيد: «توجيهات الإسلام لرعاية من تقدم بهم السن»، بحث قدم فى  
المؤتمر الإقليمى العربى الخامس لرعاية المسنين - جامعة حلوان - الرعاية المجتمعية  
للمسنين بين الحاضر والمستقبل، مركز الرعاية الصحية والاجتماعية للمسنين، جامعة  
حلوان، القاهرة - مصر، (١٠-١٢) أكتوبر ٢٠٠١م، الجزء الثانى، ص ٤٨٧-٤٩٥.



(١) أن الكبير يحترم لذات الكبر، ذلك لأن السن المتقدمة أو الشيبة تستوجب لذاتها وقاراً وتقديراً، ولو لم يكن في ذلك إلا الكبر في السن دون سواه، لذا كانت الشيبة واشتعال شعر الرأس بالشيب من علامات ورموز الوقار والاحترام في المجتمع العربي عموماً. ذكر ابن حجر في الفتح حديثاً يؤكد فيه ضرورة احترام كبار السن وتقديرهم، فيروى عن النبي ﷺ أنه قال: «أمرني جبريل أن أقدم الأكابر»<sup>(١)</sup>، كما أورد الهيثمي عن معاذ بن جبل أن رسول الله ﷺ قال: «إذا أتاكم كبير قوم فأكرموه»<sup>(٢)</sup>. وروى الصنعاني في المصنف عن طاووس عن أبيه قال: من السنة أن يوقر أربعة: العالم، وذو الشيبة، والسلطان، والوالد.

(٢) كذلك يكرم كبار السن لما بذلوه طيلة حياتهم من عطاء وما قدموه لأمتهم ولل البشرية من صنيع كريم وجهود خيرة، فهم أناس قدموا طيلة حياتهم الكثير من الواجبات للأفراد وأسره، وخاصة صغارها مما يفرض على هؤلاء تكريمهم واحترامهم والإحسان إليهم عرفاناً وتقديراً لما فعلوه لهم عند حاجتهم لذلك. فالحياة إجمالاً أخذ وعطاء، وعلى الأجيال المتعاقبة أن تعمل على رد الجميل ليستمر العطاء والتواصل بين الأجيال ودخل الأسرة.

(٣) يختزن الشيوخ في أذهانهم الكثير من المعارف والحكمة مما يمكن أن يكون مفيداً ونافعاً للناس جميعاً والشباب خاصة، وهذا ما كان عليه الحال في المجتمعات التقليدية. ولا تزال العديد من المجتمعات تحدد أعماراً متقدمة كشروط لمن يصلون إلى المناصب القيادية والسياسية في الدولة،

(١) ابن حجر: فتح الباري في شرح صحيح البخاري، مكتبة الرياض الحديثة، جزء (١)، الرياض - السعودية، ص ٣٥٧.

(٢) الهيثمي: مجمع الزوائد، مؤسسة المعارف، بيروت - لبنان، ١٩٨٥، جزء (٧)، ص ١٩.

فمثلاً تبلغ في المتوسط أعمار السياسيين في العالم أكثر من الخمسين عاماً. قد يعترض البعض على أن مما يميز عصرنا الحديث أن المعارف في حالة تغير وتحول بحيث تصبح معلومات كبار السن في نطاق المعلومات القديمة، وأن الشباب اليوم وبواسطة وسائل الاتصال السريعة والإنترنت، وغيرها من قنوات للوصول للمعلومات تجعلهم لا يحتاجون إلى معرفة كبار السن. وكل ما قيل صحيح، لكن ما قصد من خبرة وحكمة لا تقتصر على المعلومات، وإنما على الكيفية التي تستخدم فيها هذه المعلومات، وكذلك طرائق وأساليب التعامل مع الذات والآخرين. لذا تطالب وثيقة فيينا العالم بالحفاظ والاستمرار في المحافظة على تقليد أن يكون كبار السن رموزاً للحكمة والمعرفة.

(٤) أن الشيوخ والمسنين في حالتهم الصحية والنفسية والاقتصادية، التي ذكرناها سابقاً، يعدون من الضعفاء العاجزين عن القيام بأمور أنفسهم، وهم في أمس الحاجة لمساعدة غيرهم. وعلى المجتمع، وخاصة أسرهم وأقربائهم القيام بواجب رعايتهم والعناية بهم، فهم قد فعلوا ذلك لهم<sup>(١)</sup>.

أهداف رعاية المسنين في الإسلام :

إن من أهداف الشريعة الإسلامية لرعاية المسنين ما يلي:

(١) تحقيق حماية الكرامة الإنسانية التي يتمتع بها المسنون :

فما ميز الله به الإنسان الكرامة لقوله تعالى: إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكِ إِنِّي

خَلَقْتُ بَشَرًا مِّنْ طِينٍ ﴿٧٦﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ، وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ، سَاجِدِينَ ﴿٧٧﴾ فَسَجَدَ

(١) محمد هويدي: كبار السن.. عطاء بلا حدود - دور الرعاية - ودور للتواصل والمشاركة، المكتب التنفيذي، مجلس وزراء العمل والشؤون الاجتماعية بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربي، ١٩٩٩م، ص ص ١٣٤-١٣٥.

أَلَمْ تَكُنْ لَهُمْ آيَةً أَنْ يَقُولُوا لَكُمُ اللَّهُ آيَةٌ ۖ إِنَّا أَنشَأْنَاهُ كَمَا أَنشَأْنَاكُمْ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٢﴾ (١). ولقوله تعالى:

والمجتمع المسلم مجتمع متراحم متماسك متواد، لقوله تعالى:

﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَرزِيعٍ أَخْرَجَ سَطْفَهُ فَفَازَهُ، فَاسْتَعْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ (٢). ولقوله تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَةِ﴾ (٣).

وتواترت الأحاديث النبوية في التأكيد على ذلك فيما رواه النعمان بن بشير عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «تري المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى» (٤)، وقال ﷺ: «المسلمون كرجل واحد إن اشتكى عينه اشتكى كله وإن اشتكى رأسه اشتكى كله» (٥). وعن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه» (٦). وعن جرير بن عبد الله عن

(١) سورة ص: آية ٧١-٧٤.

(٢) سورة الإسراء: آية ٧٠.

(٣) سورة الفتح: آية ٢٩.

(٤) سورة البلد: آية ١٧.

(٥) صحيح البخاري، الجزء (٥)، ص ٢٢٣٨.

(٦) الإمام مسلم: صحيح مسلم، دار الباز، مكة - السعودية، جزء (٨)، ص ٢٠.

(٧) صحيح مسلم، الجزء الأول، ص ٤٩.

النبي ﷺ: «لا يرحم الله من لا يرحم الناس»<sup>(١)</sup>. وما رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «والذي نفسي بيده لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم»<sup>(٢)</sup>.

## ٢) تحقيق شروط الكفاية المعيشية للمسنين :

وذلك طبقاً لميزان العدالة والإنصاف<sup>(٣)</sup>. فالإسلام يوجب على أفراد الأمة أن يؤمنوا لبعضهم البعض الحد الأدنى من الكفاف المعيشي، ولقد أوضح الفقهاء، فيما يتعلق بالمسنين، تفصيل ذلك.

إن الشارع إنما عهد برعاية المسنين والقيام بحقهم بشكل أساسي إلى الأبناء فالأزواج فالحواشي من الأرحام داخل دائرة الأسرة، وكلف أفراد المجتمع وقادته بدعم وظيفية الأسرة وحمايتها لتقوم بما عليها من وظائف وواجبات. فرعاية المسن في داخل الأسرة مظهر تكريم وحفاوة، ويشكل المناخ الأفضل لتقديم الرعاية المطلوبة، وهي تترك أثراً طيبة على نفسية ومعنويات المسن، وتقلل عنه الشعور بالوحشة أو الوحدة، وترفع عنه الشعور بالهانة أو أنه عبء على أحد، على عكس لو أن أمره ترك لمن هم خارج أسرته.

والأمر بهذه الرعاية موجهاً إلى ذي القرابة والرحم بنص القرآن، مع التحذير والتشديد على من تهاون أو أهمل في القيام بهذه المهام، والأمر لم يوجه في القرآن للمجتمع أو الدولة أو خلافتهم، وإنما جعل أمر العناية

(١) صحيح البخاري، الجزء (٦)، ص ٢٦٨٦.

(٢) الإمام البخاري: الأدب المفرد، مرجع سبق ذكره، ص ١٠٢.

(٣) محمد سعيد رمضان البوطي: «رعاية المسنين في إطار الأسرة الإسلامية»، في حلقة: رعاية المسنين في الإسلام، منظمة المؤتمر الإسلامي والاتحاد النسائي، أبو ظبي - الإمارات العربية المتحدة، ١٩٨٦، ص ٢٣٧-٢٣٢.

بالمسنين أمراً أسرياً في المقام الأول، وإن كان ذلك لا ينفي مسؤولية المجتمع أو الدولة. نجد هذه الأوامر والتوجيهات في قوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلَّذِ كَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ ؕ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةٌ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝ (١)﴾، وقوله عز وجل: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْصَامَكُمْ ۝ (٢)﴾. وما ورد في الأحاديث النبوية الكثيرة عن ذلك.

ولم يقتصر الأمر على اجتهادات الفقهاء أو توجيهات عامة، وإنما يلاحظ أن مسألة وجوب رعاية المسنين يؤخذ بها في معظم نصوص قوانين الأحوال الشخصية المرعية في الدول العربية. وإن قيل إن نصوص القوانين وحدها لا تكفي لبناء تكافل اجتماعي إنساني بين أفراد المجتمع، فإن من الواجب تذكر التوجيهات والاعتبارات التي سبق ذكرها والتي تؤكد على رعاية المسنين والضعفاء عموماً، ألم يقول الرسول ﷺ: «إنما تتصرون بضعفائكم»<sup>(٣)</sup>، وهي من القيم الراسخة في المجتمع المسلم، على أن القوانين تصبح الأداة الفعالة والتفصيلية المجسدة لهذه التوجيهات، وهي كذلك التي

(١) سورة النساء: آية ١١.

(٢) سورة محمد: آية ٢٢.

(٣) أورده الشيخ الصابوني في بحثه: «رعاية المسنين في ظل قوانين الأحوال الشخصية»، في حلقة: رعاية المسنين في الإسلام، ص ٥٠.

تبلور المسؤوليات وتعطى للفرد والمجتمع الوسائل الكفيلة (الملزمة) لتحقيق هذه القيم والأعراف السامية، وهى كذلك وسيلة لضمان تحقيق ذلك<sup>(١)</sup>.

ولقد تصدت قوانين الأحوال الشخصية للأمر فى شكل: نفقات وإرث ووصايا ووقف وغير ذلك من ضمانات لكفالة ورعاية المسنين، كما أن قوانين الأحوال الشخصية مشتقة من أحكام الشريعة الإسلامية وأن ما تقدمه إنما تصور أوجه الرعاية الإلزامية والاختيارية والسبل العديدة التى يمكن للأسرة أن ترعى وتكفل بها مسنها أو ضعيفها بشكل عام.

---

(١) أورده الشيخ الصابونى، المرجع السابق، ص ١١٠-٣٧.

## الخاتمة :

يتضح من هذا البحث والذي بين لنا مدى اهتمام الدين الإسلامي بشريحة كبار السن وذلك في القرآن والسنة، وآراء الفقهاء، أن الإسلام يقدم لنا صورة لكيفية الاهتمام برعاية المسنين قبل اختراع عام دولي لهم بما يعادل (١٤٠٠) سنة ونيف قبل أن تتعقد الأمم المتحدة لمحاولة إقرار ذلك.

حيث ينقسم المسن من الناحية الشرعية إلى قسمين:

**الأول:** مسن قادر على أداء واجباته وفروضه على الرغم من كبر سنه، فهو كبير في السن، وليس به ضعف يعجزه عن العبادة أو العمل، فهو المسن الصحيح.

**الثاني:** مسن عاجز عن أداء العبادات والواجبات الشرعية على الوجه الصحيح، وذلك بسبب ما اعتراه من ضعف الشيخوخة والكبر، فهو المسن العاجز الذي يشمله التخفيف في الأحكام الفقهية.

والمسن العاجز هو: من بلغ مرحلة متأخرة من العمر عجز عندها عن أداء ما أوجبه الله تعالى عليه تجاه ربه وتجاه الآخرين.

وليس لكبر السن تأثير في الأحكام الفقهية، ما لم يحصل لدى المسن وهن وضعف وعجز عن أداء الواجبات. ولذلك لا تسقط عنه الواجبات ما دام قادراً على أدائها مهما بلغت به السن.

وليس في الشريعة الإسلامية سن يمنع فيها الإنسان من العمل، بل هو مأمور بالعمل مهما طال به الزمان، ما دام قادراً عليه، ولو استمر ذلك إلى آخر حياته. ولذلك لا يلزم الإنسان شرعاً بترك عمله ما دام قادراً عليه.

وعليه فالدين الإسلامى وضع حقوق المسنين ورعايتهم من خلال آياته القرآنية، ونصوص أحاديثه، بل إن الدين الإسلامى قد جعل الإحسان إلى الوالدين - أى كبير السن - إنما يدخل فى باب العبادة وقرين الإيمان بالله، وأن ذلك يجب أن يتم بوازع ديني من أجل احترام هذه الشريعة وتوقيرها، لأن أبناء اليوم هم آباء الغد، هم أجداد المستقبل.